قراءة في ديوان «روائح الصمت» للشاعر فيصل البريهي

روح عاشقة تغني للحب

● ربما يكون من الممكن الإطلالة على نتائج شاعر تجد أمامك كامل النتاج الشعري له، ولكن عندما تأتي إلى شاعر مثل فيصل البريهي فإنك تجد أمامك شاعراً امتلأ قلقا في جميع قصائده، شاعراً يستحوذ على القصيدة من البداية حتى النهاية، كاللاعب النجم في الملاعب، ولهذا ونحن مع «روائح الصمت» الديوان الثاني بعد ديوان «أسرار الرماد»، في روائح الصمت نلاحظ من خلال العنوان أن هناك ما يوحي بالصمت هل صمتت بعض القصائد على التحدث في ديوان أسرار الرماد؟ ربما يكون ذلك، ولكن ما يعزز هذا الرأي هو وجود عدد من قصائد الغزل التي ربما اشتم فيها الشاعر رائحة الصمت، فلما تم له طبع ديوانه الأول رأى أن تفوح هذه الروائح الجميلة التي ما كان لها أن تجلس حبيسة الصمت، وهكذا ففي الديوان ٩قصائد من مجموع٢٦ قصيدة تحمل مضمونا غزليا، وهذه القصائد حتى من خلال العنوان تلاحظه كالتالي: «لا ذنب للأمس، روائح الصمت، فصول المحبة، لا تحملي إثمي نغمات قلب، رياض الأماني، آفاق المدى المكتظ، هكذا كانت نسمة سحرية».

حاتم محسن شراح

وهكذا فجميع هذه القصائد بما فيها القصيدة التي تحمل عنوان الديوان يفصح الشاعر عن روحه العاشقة التي تغني للحب وتعزف على أوتار العشق، يقول في قصيدة بعنوان فصول المحبة:

هبت أعاصير شوقي ملء أوردتي
كأنها لم تجد غير الفؤاد فضا
أمضي إلى أين؟! من أين ابتدأت وفي
مسراي كل طريق لا يفي غرضا
كل المسافات خاضتها خطاي على
آثار من خاضها قبلي ومن ركضا
جاوزت كل دروب الحب شائكة
سعيا على كل درب طال أو عرضا
دروب الحب شائكة خاضتها خطاي.... إلخ.

وفي نفس القصيدة نلاحظ التحليق في مثل قوله:

من مبلغ قلب من أحببت أن لها
غيما وبرقا بقلبي طالما ومضا؟
وكم تلته رعود الآه تقصف في
صدر إذا خالجته امتد وا نقبضا
لكن حبك عهد فيه موثقه
لو قوضته يد الأقدار ما انتقضا
ما زلت والحب يجري ألف معركة
في مهجتي كلما أقعدته نهضا

هذه المقطوعة تعبر عن ذلك الحس المرهف والوجدان المتدفق شعرا تحدوه عاطفة جياشة، تتمثل في الصدق الشعوري، فهذه الأبيات السابقة الذكر لن تأتي من تصنع أو نفاق وإنما هناك حب حقيقي هو الذي يعبر الشاعر عنه بكل إمكانياته التعبيرية وبكل ما أوتي من شعر.

وفي قصيدة «لا تحملي إثمي» يقول:

ولقد سألت القلب عنك فقال لي
دع من لها قلب من الأحجار
فزجرت قلبي وهو من بشر فلم
ينفعه زجري فيك أو إنذاري
ما زال يدفعني إليك كزورق
في اليم بين عواصف الإعصار
غامرت في حبي مغامرة بلا
عقل ولا رأي ولا استفسار
بخرت ميثاق المحبة كالندى
في مهجتي فتفتحت أزهاري

استخدم السرد القصصي من خلال الأحداث المتلاحقة من خلال الأفعال «فزجرت – يدفعني – غامرت – بخرت – تفتحت..إلخ».

وهكذا يتبين لنا أيضا من حروف العطف في الفعلين فزجرت فتفتحت ومن الملاحظ في الشعر الغزلي أن الحوار والسرد ميزة وسمة من سمات غرض الغزل، وفي قصيدة «نغمات قلب» والتي على بحر الطويل حيث المدى الطويل وتنوع التفعيلة من فعولن إلى مفاعيلن وهذا البحر من أكثر البحور استخداما منذ أمري القيس في معلقته إلى شعراء العصر الحديث يفتتح الشاعر قصيدته:

أبى القلب إلا أنه يقطع الدربا
فيزداد بعدا كلما أمعن القربا
أبى القلب إلا أن يسير مع الهوى
مصرا على أن يركب المركب الصعبا
أراه كرويا العين يستف عمره
سرابا ويستسقي الندى قيعة جدبا
دروب الهوى العذري كانت بدايتي
وما زلت أسعى فوقها هائما صبا

إن إفصاح الشاعر عن مواصلة مشواره الغزلي برغم كونه مركبا صعبا، وهذا الإصرار من طبيعة الشاعر، فالشاعر بدون الحب هو شجرة لا تثمر، وأرض لا تنبت، وهكذا يواصل في نفس القصيدة:

أنا العاشق المفتون والأمن الذي
يرى قلبه في الأمن ممتلئا رعبا
إذا شاهد الحسن البديع رأيته
كأحين من فوق الثرى واجه الحربا
دعوا لي سبيل الحب آمنت أنني.

القصيدة لا تحتمل بيتا زائدا وتعتبر خاتمة مطلع للقصيدة.

وفي قصيدة «رياضي الماني» التي جاءت على بحر الخفيف وقافية الدال يفتتحها بقوله:

من قريب أراك أو من بعيد
في قيامي مستيقظا أو رقودي
لم يعد رغم بعدنا يا حبيبي
للمسافات بيننا من حدود
أينما كنت كنت خفقة حب
تحت صدري أو نبضة في وريدي
كنت ملء الحياة إنسا وعطرا
وجمالا ونسمة في وجودي

إن هذه الشعرية، وهذا الإيقاع وهذا الغرض ليس حكرا على أحد، وشاعرنا يعبر عن مشاعره ويكتب قصائده ويوظف إمكاناته التعبيرية مستخدما قاموسه الشعري الرقيق، وقاموس الغزل بالذات، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن غنى قاموس فيصل البريهي يتضح من خلال استخدامه للأفعال في قصيدة بعنوان «آفاق المدى» المكتظ غادروني، أكتم، غمضت، تاهت، تهذي، يجوب، تولت، تبتدي، يستقرى، ينثني، يندمل، ..إلخ

هذه القصيدة لامية على بحر البسيط يفتتحها بقوله:

ما للأحبة لا جاءوا ولا رحلوا
عني فقد غادروني قبل أن يصلوا
لم يبق إلا بقايا الذكريات كما
يبقى بآثار من كانوا به الطلل
ساروا مع الأمس سير الظل منفلتا
من كل ضوء وفيهم يضرب الملل

إن هذا الأحكام في الصياغة واللغة الشعرية المحلقة تخلق واقعاً يغني الشاعر عن عالمه الذي صنعته الأحاسيس ورصعته بآهات الحزن الذي لا يغادر أحداً.

أدب كوريا الجنوبية في معرض اماراتي

● أبوظبي- أكثر من ١٥٠ كتاباً جديداً للأطفال من كوريا الجنوبية، سيستضيفها جناح هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ضمن فعاليات معرض «العين تقرأ» للكتاب الذي يفتتح اليوم «٢ – ٨ أكتوبر ٢٠١١» ، وذلك في خطوة جديدة تكرس التعاون الثقافي والمعرفي بين كوريا الجنوبية ودولة الإمارات العربية المتحدة، والذي يأتي انسجاماً مع العلاقات الإستراتيجية الدبلوماسية والاقتصادية والتعليمية بين البلدين. كما يأتي هذا التعاون ثمرة للانفتاح الثقافي في العاصمة أبوظبي على مختلف ثقافات العالم ولغاته، والذي يندرج مشروع «كلمة» للترجمة في إطاره، سعياً إلى تقديم كل ما هو جديد ومختلف من ثقافات العالم وعلومه وآدابه وعدم الاكتفاء باللغة الإنجليزية أو الفرنسية مصادر شبه وحيدة لاستقاء هذه المعارف وترجمتها.

ويكشف القسم المخصص بكوريا الجنوبية ضمن جناح الهيئة عن حجم هذا التعاون الثقافي الذي كان قد ترسخ خلال زيارة قام بها كلٌ من جمعة القبيسي نائب المدير العام لشؤون دار الكتب الوطنية في هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ود. علي بن تميم مدير مشروع كلمة التابع للهيئة، لمدينة الكتاب «باجو» في كوريا الجنوبية، والتي التقيا خلالها عدداً من الناشرين الكوريين وتمّ الإتفاق على أشكال عدة من التعاون بين الجانبين، تتضمن ترجمة أعمال من الكورية إلى العربية، والعكس.

وفي هذا الصدد يقول جمعة القبيسي: «إن هذا التعاون بين البلدين ليس جديداً، فهو قائم منذ أكثر من ثلاثة عقود، على الصعيد الدبلوماسي والاقتصادي، لكنّ كوريا الجنوبية بلد غنيّ ثقافياً أيضاً، ولديه على صعيد الآداب والفنون ما يقدّمه للعالم، ولا سيما العالم العربي، بل إن لقاءاتنا السابقة مع كبار صناع النشر والثقافة في كوريا الجنوبية، قد أكدت لنا مدى توقهم للتواصل ثقافياً مع منطقتنا، كما رغبتهم في أن يصل نتاجنا إليهم على حدّ سواء». وأضاف القبيسي: «إن حجم الكتب الكورية التي تقدمها مُترجمة هيئة أبوظبي للثقافة والتراث خلال معرض العين تقرأ يؤكد جدية هذا الحوار الثقافي والمعرفي الذي سيتعزز بخطوات مستقبلية متعددة المستويات».

وقد أصدر مشروع «كلمة» للترجمة ترجمات لعشرات الكتب الكورية للأطفال والناشئة، في حين أصدر قسم «إصدارات» التابع للهيئة أيضاً عدداً كبيراً من هذه الأعمال، التي من شأنها كما يقول د. علي بن تميم «أن تقدّم للقراء العرب الصغار، وحتى الكبار مذاقاً أدبياً وفنياً مختلفاً عما ألفوه في السابق. فالثقافة الكورية الجنوبية قديمة وضاربة الجذور في التاريخ، كما أنها مؤثرة ومتأثرة بالتيارات الحداثية في العالم، ومن هنا كان من المهم تقديم هذه التجربة التي تضيء لنا جوانب مهمة عن ثقافة وتاريخ هذا البلد العريق». وأضاف بن تميم: «أهمية هذا التعاون أنه لا يمضي في اتجاه واحد، بل في اتجاهين، فهو في نهاية المطاف حوار فكري وثقافي وإنساني، وبالتالي وبقدر ما يهمنا التعرف إلى كوريا بصورة أكثر عمقاً، يهمّ كوريا وصناع الثقافة فيها التعرف علينا أيضاً، وثمة اتفاقات مع الناشرين الكوريين على أن يتمّ كخطوة أولى ترجمة عدد من الأعمال العربية، ولاسيما الإماراتية، إلى اللغة الكورية، مما يفتح الباب واسعاً على المزيد من أشكال الحوار والتعاون».

تضاريسُ المُنى

ياسين البكالي

سقطوا جميعاً مِنْ تضاريسِ المُنى
غيرَ الكتابة لمْ أجِدْ
والحُزْنُ ينزَعُني بِبُطءٍ مِن ضلوعي
كنتُ فوقَ تلالِ عُمري
أسألُ المارةَ عن بقايا جَنّةٍ
كانتْ هُنا
والردُ يأتي أصفراً
كحديثِ قومي عن مصيرِ
الصابرينَ هُناكَ
أو عنْ ما روَتْهُ المسرحَيّةُ هاهُنا
وظَلَلتُ وحدي
أجثو على مليونِ أُمْسِيةٍ
تَحَنّتْ بالشموعِ
ولم يَحِنْ فجرُ اندلاعِي بَعْدُ
أيُ حقيقةٍ تُخْفي وراءَكَ
يا بنَ قافيةِ الهُدى ؟
تاللّه خلفَكَ لا أرى إلا أنا !!
قَبْلَ جبينَ الحرف
إنّ الحرفَ أوّلُ مَنْ يُشاطرُكَ العَنا
واتْرُكْ ذراعِي تنْتَشِي لوْ لَحظَةً
ما دمْتُ فيها اسْتَغيثُ
ما دمتُ فيها وحْدَها أجِدُ الهنا
بئسَ الظلامُ
وبئسَ هذا الموقِفُ المُتَأرْجِحُ
الغافي
على حبلِ الخديعَة
يُرْهِقُ الأعصابَ بُعْداً..إنْ دنا
خَلَعَ الضميرُ قميصَهُ ..ومضى
وما زالَ القَميصُ يَقُصُ لمَنْ يراهُ
حكايةَ الإنسانِ
حينَ يريدُ ثُمّ يكونُ!!
وحِينَ مِن عينيهِ نَغْتَرِفُ السَنا
يا هؤلاءُ
ما بينَكمْ تتقاسمونَ مَسَرّتي

وأنا وباسمِ المُنْهَكينَ لما جرى
مـــاذا لنا ؟؟؟؟؟
وقفَ الحنينُ مُشَمّراً
عن ساعديهِ أمامَكمْ
يا أنتُما ...
مَن منكُما هدّ البلادَ ؟؟
فالحَقُ ...
لا أحَدٌ بنى !!
الفقرُ في وطَني
وواعَجَبي
غدا ولداً مُطيعاً ...للْغِنَى
سقطوا جميعاً..
وانْكَفأتُ على الصخورِ بِمُفْردي
أروي ...
تضاريسَ المُنى

إصدارات ثقافية

روح المحادثة

■ اشتهرت فرنسا خلال القرن الثامن عشر بوجود العديد من (الصالونات) الأدبية والفكرية. والكاتبة الفرنسية شانتال توماس تقدم ثلاثة (صالونات) شهيرة في تلك الحقبة هي (الحجرة الزرقاء لمدام رامبوييه) في القرن السابع عشر، و(صالون مدام ديفان) في القرن الثامن عشر، و(قصر كوبيت، صالون مدام دو ستايل) خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

تنقل المؤلفة عن الشاعر الفرنسي بول كلوديل قوله، إن حواراتنا اليوم لم تعد سوى (حوارات الموتى) و(كلمات متجمّدة) تنتقل من الخاص إلى العام على خلفية تسوية الحسابات والمواجهات الاجتماعية. وسريعاً (يمكن للشتائم أن تنطلق كالمطر). ما يتم تأكيده هو أنه لم تعد هناك حوارات و(محادثات) يعبّر فيها البشر عن كينونتهم وآمالهم .

ولكن (رواة القصص الغريبة والقدماء المحترفين وأصحاب الخطب الطويلة المصرّين على الإسهاب فهؤلاء جميعاً يمكنهم أن يملأوا الأوقات الميتة. واولئك الذين يكررون نفس الحكايات بفواصل زمنية قصيرة يثيرون الضجر سريعاً. إنهم لا يأبهون بالآخر ويبحثون دون كلل عن إرضاء ذاتهم (...). وليس هناك أية متعة تنتظر من أولئك الذين يودون امتحان الآخرين (...). وجميع المحادثات التي تأخذ شكل امتحان ليست مستحبّة).

المحادثة التي تدعو إليها المؤلفة هي غير (الأحاديث الفارغة)، بل تلك القائمة على الحوار. ثم إن (سقراط) كان قد أسس فلسفته على الحوار مع الآخر. والمحادثة بهذا المعنى هامة جدا لـ (الذات) وكذلك أيضا للتلاحم الاجتماعي. مثل هذه المحادثة عرفتها (صالونات) القرون ما بعد النهضة وحتى القرن العشرين.

وتذكر المؤلفة في هذا السياق المكانة التي تحتلها القرية في بلدان حوض المتوسط عامة عندما يجتمع الأهالي في الأمسيات للحديث معا عن الهموم المشتركة. أما في المدن الكبرى فيمثّل (المترو) أحد أكثر الأماكن عزلة. ذلك أن الناس يلتقون ويتجاورون ولكن دون تبادل الحديث، إلا في حالات نادرة.

تشير المؤلفة أنها اختارت ثلاث سنوات ينتمين إلى ثلاثة قرون من تاريخ فرنسا. أولهما (مدام رامبوييه) في القرن السابع عشر حيث كانت (حجرتها الزرقاء) عالماً روائياً بامتياز، حيث كانت المتحدثات (يستعرن) أسماء شخصيات روايات (السيدة سكوديري) التي كانت تستلهم بدورها من (الصالون) كي تنسج الحوار بين شخصيات رواياتها اللاحقة. وتحدد المؤلفة فكرة رئيسية مفادها أن التأثير على طريقة توجيه الحديث للآخرين قد يؤدي إلى تغيير العادات والأخلاقيات على المدى الطويل.

أما أحاديث صالون (مدام ديفان) في القرن الثامن عشر، قرن التنوير، فقد كانت تتوجه خاصة نحو الاهتمام بالحياة الأدبية في عصرها. ويتم توصيفها أنها كانت من أكثر النساء اللواتي قمن بتنظيم (صالونات) ذكاءً. كان روّاد صالونها هم من بين علماء وكتّاب ومفكري وفلاسفة عصرها.

وتؤكّد المؤلفة أن (عقلها التنويري) كان هو الذي يجذب إليها كثر من المشاهير آنذاك وليس أقلّهم فولتير الذي كان من أصدقائها المقرّبين إذ كانت تثمّن كثيرا حسّه النقدي وعقلانيته وذكائه. تتم الإشارة أن (مدام ديفان) و(فولتير) تبادلا أيضا الرسائل على مدى سنوات كاملة. بهذا المعنى شكّلت (محادثات) صالونها نوعا من لقاءات (الأكاديمية الفرنسية). لكن المواضيع المطروحة كانت بعيدة عن أي مشروع لتغيير المجتمع.

والسيدة دوستايل تعلّمت تنظيم اللقاءات في صالون والدتها، ثم وجدت صوتها وتوجهها على قاعدة (درجة عالية من الوعي السياسي) كانت تتحلى بها مما ميّزها كثيرا عن نساء عصرها عامة. ولم يكن ذلك بعيدا عن زواجها بـ (السيد دوستايل)، سفير فرنسا في السويد آنذاك. كانت قد بدأت (صالونها) في باريس ثم نفاها نابليون إلى سويسرا .

حيث كرّست حياتها للقراءة والكتابة والترجمة، كما كانت (للمحادثات) التي عرفها صالونها في (قصر كوبيت) دور كبير لديها. وقد عبّرت دائما عن شغفها بالسياسة بطريقة (عفوية وحرّة) بعيدا عن (قواعد الحديث) المألوفة آنذاك. وكانت تعتبر أن لـ (الصالون) وظيفة أساسية هي فتح النقاش السياسي المتجدد على مصراعيه. مثل هذه الاهتمامات ظهرت بوضوح في شخوص رواياتها.

من خلال (السيدات الثلاث) اللواتي تقدمهن المؤلفة عبر (محادثات) شهدتها ملتقيات قمن بتنظيمها عبر ما سمي بـ (الصالونات) تحاول أن تؤكّد على (قيمة الإصغاء) للآخر.

طريق الاكتشاف

من خلال (روح المحادثة) تتعرض المؤلفة بالتحليل لثلاث مقاربات متباينة لمختلف المواضيع المطروحة في عصرها. بهذا المعنى يتم الحديث عن (ثلاث لحظات) في تاريخ الفكر الفرنسي. لكن المؤلفة تناقش المفاهيم التي جرى طرحها في (صالونات) القرون الماضية التي أشرفت عليها نساء دخلن التاريخ الثقافي على ضوء معطيات الحقبة الراهنة اليوم .

وليس من منظور تاريخ بحت. هذا بنوع من (المديح) لروح المحادثة المباشرة بين البشر لما يمكن أن تمنحه من قدرات الاكتشاف وما ينتج عنها من تواصل إنساني.

الكتاب: روح المحادثة
تأليف: شانتال توما
الناشر: ريفاج باريس ٢٠١١
الصفحات: ١٢٤ صفحة
القطع : الصغير

سليمان العيسى شاعر العروبة والطفولة

■ يحاول كتاب (سليمان العيسى شاعر العروبة والطفولة) لمؤلفيه علي القيم وملكة أبيض أن يقدم صورة شاملة عن هذا الشاعر المبدع تحيط بحركته وإنتاجه الفكري الغزير وجمعا معظم الشهادات التي قيلت وكتبت بالشاعر الراحل لكي تكون وثيقة تاريخية بحق هذا الصوت الابداعي الكبير؛ حيث يؤكد علي القيم أن الشاعر (كتب أغلى الكلمات التي أحبها واعتصر المحال، كتب للنضال وللواحات والرمال) أمّا ملكة أبيض فقد كتبت «في ١٧ أيلول من عام ١٩٥٠ بدأت حياتنا الزوجية .

وفي إحدى قصائده يسمي سليمان زواجنا» القيد الصغير ؛ ويؤكد المؤلفان انّ سليمان العيسى لا يكتب للصغار ليسليهم ، إنه ينقل إليهم تجربته الغنية والإنسانية.

وكتب عبد اللطيف الأرناؤوط أن: (سليمان حلقة وصل بين جيلين من شعراء عصرنا .. فقد أقام جسراً بين تراثنا الشعري وما تستلزمه دواعيه؛ وها هو أنطون مقدسي يبدي رأيه في شعر الشاعر: «إنّ مجموعاته الشعرية تساير حركة التاريخ العربي المعاصر، في صعودها وهبوطها، كما عاشها الشاعر من موقعه وعلى طريقته.

و قال عبد العزيز المقالح : «شاعر نقي الروح والسريرة ، سامق القامة ، يعبر نحو الخامسة والثمانين من عمره وكأنه لا يزال شاباً في الثلاثين أو الأربعين ، في عينيه بريق ابن العشرينيات ، وفيهما يجري نهر الذكاء والحنان وعمق الرؤية وسلامة النفس» ؛ ومن السعودية نسمع عبد الله الغذامي يقول: «إنه ضمير عربي مَثّل ويمثّل لنا قاعدة وموقعاً إنسانياً وتاريخياً»؛ ويقول راشد المبارك :

لقد حمل سليمان منذ حداثته همّ أمته وحلمها ، عاش مهموماً بالأوّل وحالماً بالثاني ، لقد همّه وأحزنه أن يجتمع عليها الأسوأن : الفقر والقهر ؛ و يقول فاروق شوشة فإن شعره في المرأة وعن المرأة ، لم ينفصل أبداً طوال مراحل إبداعه الشعري عن نضاله من أجل الوطن والحرية ، والمرأة جناحه المحلق في اغترابه ومنفاه عن موطنه .

وهي رفيقة نضاله وكفاحه في ليل المواجهة مع المستبدين الطغاة ؛ ويكتب عارف الخاجة عنه أحلى الكلام ، فيقول: وأنت كلما انساب سؤالك رقراقاً كبردى يلامس نبض الخليج .. وساهماً كعاشق لاحق طرفه طيف حبيبته الراحلة ، ومليئاً كسيدات قزح .

ومتفجراً كأبطال المقاومة الوطنية في جنوب لبنان ،و تتحدث كافية رمضان عن الطبيعة عند سليمان العيسى التي تعتبرها بأنها (عالم جميل متنوّع البهاء يوحي بآلاف القصائد ، فالطفل كما الشاعر يميل إلى معاشرة الطبيعة .. ولأن الشاعر طفل كبير فقد تفجرت في نفسه ينابيع الطبيعة الحلوة ، وأخذ يرسم بريشته الساحرة صوراً جديدة تشابه الطبيعة الأم)؛ ويقول خليفة الوقيان بأن سليمان العيسى الشاعر يحمل سحراً خاصاً ، وقدرة كبيرة على التسلل إلى قلوب الشبان واكتساب حبهم وتقديرهم في آن معاً .

الكتاب: سليمان العيسى شاعر العروبة والطفولة
تأليف: د. علي القيم ، د. ملكة أبيض
الناشر: وزارة الثقافة الهيئة العامة للكتاب دمشق ٢٠١١

عدد الصفحات: ٦٨٨
القطع: المتوسط